جُمْهُورِيَّة الْعِرَاقِ

ديوانُ الوقفِ الشِيعي

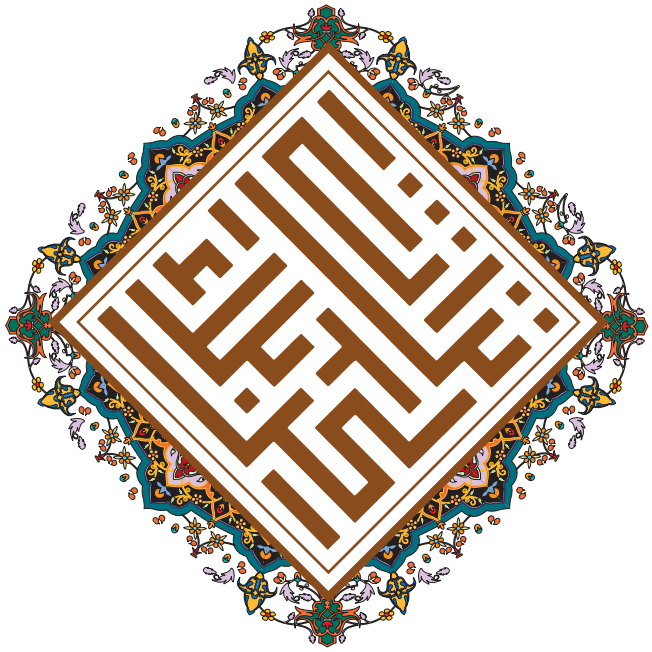

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ

تُعْنى بِالتُراث الكَربَلائي

مُجَازَةٌ مِنْ وزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَغْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

تصدر عن:

العتبة العباسيّة المقدّسة

قسم شؤون المعارف الإسلاميّة والإنسانيّة

مركز تراث كربلاء

السنة السابعة/ المجلَّد السابع/ العددان الثالث والرابع (٢٥-٢٦)

شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/ كانون الأول ٢٠٢٠م

التكوثر الدلالي للكلمة القرآنية في صفوة الصفات في شرح دعاء السمات للكفعميّ (ت٩٠٥هـ)

Semantic Density of the Quranic Word in "Safwat Al-Sifat fi Sharh Dua' Al-Simat" For Sheikh Al-Kaf'ami (Died 905 hijri)

أ.م.د. حسين علي هادي المحنا

جامعة بابل/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم لغة القرآن

By: Asst. Prof. Dr. Hussein Ali Hadi Al-Muhanna, Dept. of Quranic Language, College of Islamic Sciences, University of Babylon.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

الملخص:

لا ريبَ أنَّ للكلمةِ القرآنيّةِ مدياتٍ دلاليّةً، أي: يتوسّعُ معنى اللفظِ ويُنقَلُ من المعنى الخاصِّ الدّالِّ عليه إلى معنى أعمّ وأشمل، فلا تَرِدُ الكلمةُ القرآنيّةُ إلّا وقد تَحَكّمَ فيها السياقُ فساقها مَساقًا يثوّرُ فيها المعنى فينتجُ عنه دلالات جديدة ضمن التركيبِ الجديد؛ لأنَّ الكلماتِ كائناتٌ حَيّةٌ تأخذُ وتُعطي وتُساهمُ كلّما استُعمِلَت في سياقٍ لغويّ لتتّسع دلالتُها وتتعدد.

هذا الفَهمُ الواضحُ نلمحُهُ عند الكفعميّ الكربلائي(ت٩٠٥ هـ) إذ أشارَ إلى التوسّعِ في دلالةِ الكلمةِ القرآنيّةِ المستعملةِ في دُعاءِ السّماتِ فَراحَ يُقَلّبُها بكلِّ ما تحتملُهُ من دلالاتٍ.

وبَعدَ استقراءِ ما عَنَّ لنا من نصوصٍ وأفكار شَرَعنا بوضعِ خطّةٍ نَخالُ أنّها تؤدي المطلبَ المرادَ، فجاءت في مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثين، جاء التمهيدُ كاشفًا عن التكوثرِ الدلاليِّ وصَفوةِ الصِّفاتِ نَرومُ مقاربتهما تأصيليًّا، وانبرى المبحث الأول للبحثِ في الحقول الدلالية للكلمة القرآنية باستعمال الترادف والأوزان الصرفية الاشتقاقية والتضاد الاتجاهي، أما المبحث الثاني فيسلط الضوءَ على آليات التكوثر الدلالي والتي تضمَّنت استعمال الشاهد القرآني، والدلالة الاحتمالية، والفروق اللغوية، وآراء العلماء، وقفلنا البحثَ بخاتمةٍ تضمّنت أهمَّ النتائج التي توصّلنا إليها، والحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على محمدٍ وعلى آلِهِ الطيبين الطاهرين وصحبِهِ الغرِّ الميامين.

الكلمات المفتاحية: التكوثر الدلالي، الكلمة القرآنية، صفوة الصفات، دعاء السمات، الكفعمي.

Abstract

It is a well-known fact that the word in the Quranic context has particular extensive space; meaning is transferred from the more specific to the more general and all-encompassing within the appropriate context that enhances and augments new aspects of meaning.

This tendency is clearly seen in Al-Kaf›ami in his exploitation of ‹›Dua› Al-Simat››, through the probable and possible revelations of meaning. The present research is divided into a prelude, an introduction, and two sections. The prelude and introduction are devoted to semantic density and the text under study. The first section focuses on the semantic fields of the Quranic word based on synonymy, morphologically derivational measures, and directionality antonym. The second section is dedicated to the mechanism of the semantic density in the data through using Quranic examples, probable meaning, linguistic differences, and scholars› viewpoints. The conclusions end up the research.

Key Words: Semantic Density, Quranic Word, Safwat Al-Sifat, Dua› Al-Simat.

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

المقدمة:

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبده الكتابَ تبيانًا لكلِّ شيء، وجعله شفاءً لكلِّ عَي، وهدًى من كُلِّ غَي، والصلاة والسلام على محمدٍ من أشرفِ قبيلةٍ وأكرمِ حي، وعلى آله ما لجأ ظامئٌ لريّ.

أمّا بعد:

فقد عُنِيَ القرآنُ الكريم بالمفردة القرآنية من حيث تآلف أصواتها وطريقة صوغها وعلاقتها بما يجاورها في النظم ودقة دلالتها عنايةً فائقة، فكانت الكلمة في نظم القرآن بمنزلة الفريدة من حبِّ العقد، فلا يقع مثلها لمخلوق ولا يستطيع أحدٌ الإتيان بمثلها.

إنَّ الكلمةَ القرآنية عنصرٌ رئيس في بيان المعنى وتقريبه إلى الأذهان في صورةٍ بيانية تُثري العقولَ وتُغَذّي النفوسَ بقوةِ التأثير وعذوبة النطق، ومن ثَمَّ توصيل الرسالة في أوفى شكلٍ وأبلغِ مضمون، وللقرآن الكريم خصوصية في استعمال مفرداتٍ بعينها في السياق بحيث لا يمكن أن تحلَّ غيرُها محلَّها، والكلمة القرآنية تقترنُ مع مثيلاتِها كالدرّةِ التي تُرى في سلكٍ من خَرَزٍ، وكالياقوتَةِ في واسطةِ العقد.

إنَّ عنايةَ القرآن بالمبنى والمعنى معًا مع مراعاة السياق بتعدد صوره وتنوّعِها تَقِفُ بك على دقَّةِ الاستعمال وجمالية التوظيف للكلمةِ القرآنية، وهو الأمر الذي يجعلها في غاية الدقّةِ وإحكامِ النظم ويجبرك على الإقرارِ بأنَّه نظمٌ إلهي رفيعٌ بديعٌ فريدٌ من نوعه لا يمكن مضاهاته أو مقاربته، والكلمة وإن كانت تشتركُ مع مرادفاتها في إيصالِ معنًى واحد إلّا أنَّها تبقى تمتاز عن قريناتها بدلالةٍ

مخصوصة وحين يتمُّ إيرادُ لفظةٍ ما فلا بُدَّ أن نبحثَ عن ذلك الإيحاءِ الدقيق، أو الظلال الخاصة لهذه الكلمة لنكشف المعنى الدقيق.[١]

وتبدّى لنا أنَّ الكفعميَّ حَرَصَ على أن يسبرَ أغوارَ النَّص القرآني ويستنبط المعاني الدقيقة والجليلة، ويسعى إلى تكشيف المعنى الدقيق.

التمهيد:

في هذا التمهيد سنحاول أن نبيِّنَ التكوثر الدلالي وصفوة الصفات فقد انبنى البحثُ عليهما.

أولًا: التكوثر الدلالي:

في ظلِّ استغوار مادة(ك، ث، ر) في المعجمات العربية من أجلِ اقتناص هذه المادة تبيَّنَ أنَّ تكوثرَ الشيء إذا كَثُرَ كَثرَةً بالغةً، أو عَظُمَ، قال الجوهريُّ(ت٣٩٣هـ): «والكَوْثَرُ من الغبار: الكَثيرُ. وقد تَكَوْثَرَ»[٢]، والكوثر الشيء الكثير، ورَجلٌ كوثر كثيرُ العطاءِ والخيرِ، والكوثر السيِّدُ الكثيرُ الخير، قال الكُمَيتُ:

وأنتَ كثيرٌ يا ابنَ مَرْوانَ طيِّبٌ ... وكانَ أبوكَ ابنُ العَقائِلِ كَوْثرا[٣]

والكوثَرُ نهرٌ في الجنة تتشَعّبُ منه جميعُ أنهارِها.[٤]

ولم تخرج مباحثاتُ ابن منظور(ت٧١١هـ) عن هذه الدلالات فكلُّها تعني أن يكثُرَ الشيءُ كثرَةً بالغةً[٥]، وتتجلّى دلالةُ التكوثرِ في الاستعمال القرآني بما رواه الفرّاءُ(ت٢٠٧هـ) عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال: «هو الخيرُ الكثير»[٦].

وقال الزمخشريُّ(ت٥٣٨هـ): «الكوثر فَوعَل من الكثرةِ وقيل لأعرابية رَجَعَ ابنُها من السفرِ: بِمَ آبَ ابنُكِ ؟ قالت: آبَ بكوثر»[٧].

وجاء في تفسير البيضاوي(ت٦٨٥هـ): «الكوثرُ الخيرُ المفرط الكثرة من العلمِ والعملِ وشرفِ الدارين».[٨]

نخلص ممّا تقدم إلى أنَّ دلالةَ المصطلح القرآني(كوثر) توافقُ ما عُرِضَ من قبل وهو يعني الكثرةَ البالغة.

يمكننا القول: إنَّ التكوثر الدلالي هو كثرةُ دلالة الكلمة القرآنية كثرةً بالغةً في مؤلف الكفعمي وهذا ما أثبتناه في ثنايا هذا البحث.

ثانيًا: صفوة الصفات:

الصفوة في اللغة: تقول: «استَصفَيْتُ صَفوةً أي أَخَذْتُ صَفْوَ ماءٍ من غديرٍ. وصَفِيُّ الإنسانِ: الذي يُصافيه المَوَدَّة»[٩]، والصَّفْوُ: نَقِيضُ الكَدَر، وصَفْوَةُ كلِّ شَيْءٍ: خالصُه ومِن ذلك صَفْوة المَال وصَفْوَة الإخاء[١٠].

وقال أحمدُ بن فارس(ت٣٩٥هـ): «الصَّادُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ. مِنْ ذَلِكَ الصَّفَاءُ، وَهُوَ ضِدُّ الْكَدَرِ ; يُقَالُ: صَفَا يَصْفُو، إِذَا خَلَصَ. يُقَالُ: لَكَ صَفْوُ هَذَا الْأَمْرِ وَصِفْوَتُهُ. وَمُحَمَّدٌ صِفْوَةُ اللهِ تَعَالَى وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَمُصْطَفَاهُ صلى الله عليه وآله. وَالصَّفِيُّ: مَا اصْطَفَاهُ الْإِمَامُ مِنَ الْمَغْنَمِ لِنَفْسِهِ».[١١]

ولا تخرج دلالة الكلمة عن هذا المعنى في جميع أبنيتها، فالصوافي: هي الأملاكُ وَالْأَرَاضِي الَّتِي جَلاَ عَنْهَا أَهْلُها أَوْ ماتُوا وَلَا وَارِث لَهَا، واحدُها صَافِيَة، يُقَالُ للضِّياع الَّتِي يَسْتَخلْصُها السلطانُ لخاصَّته: الصَّوَافي[١٢]، والصَّفِيُّ«هو مَا يَصْطَفِيهِ الرَّئِيسُ مِنَ الْمَغْنَمِ لِنَفْسِهِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ وَهُوَ(الصَّفِيَّةُ) أَيْضًا وَالْجَمْعُ صَفَايَا»[١٣]، ويرى ابن منظور أنَّ الصِّفوةَ بالكسر هي خِيارُ الشيءِ وخُلاصتُه وما صَفا منه، والصَّفاءُ مصدرُ الشيءِ الصافي[١٤].

والصَّفوةُ عند علماء الاصطلاح: هُم المتَّصفون بالصَّفاءِ عن كَدَرِ الغيريّة، أو هُم المحقّقون بالصفاء[١٥]، وروي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «إنَّ لكلِّ شيءٍ صفوة وصفوة القرآن حروف التهجّي»[١٦].

نخلص من هذا إلى أنَّ المراد من صفوة الصفات هو خلاصة الصفات، أو هو خلوص الصفات من كلِّ شَوب.

المبحث الأول: الحقول الدلاليّة للكلمة القرآنيّة:

اعتمد أصحابُ نظرية الحقول الدلاليّة على الفكرة التي ترى أنَّ المعاني لا توجد منعزلة في الذهن ولإدراكها لا بُدَّ من ربطِ كلِّ معنى منها بمعانٍ أُخَر[١٧].

ويُعَرّف الحقل الدلالي بأنَّه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتُها وتوضع تحت المصطلح العام[١٨]

ويُعَرِّف جورج مونان الحقل الدلالي بأنّه: «مجموعة من الوحدات المعجميّة التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يُحدد الحقل»[١٩].

فالحقل الدلالي يتكون من مجموعة من المعاني، أو الكلمات المتقاربة التي تتميّز بوجود عناصر أو ملامح دلاليّة مشتركة، هذا يعني أنَّ معنى الكلمة يتحدد من خلال علاقاتها بالكلمات المشتركة معها في المجال الدلالي نفسه، هذا وأنَّ معناها لا يتحدد إلّا ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في مجموعةٍ واحدة.[٢٠]

تنطلقُ فكرةُ الحقول الدلاليّة من تصوّرٍ عام للغة مفاده أنّها تتكون من مجموعات من الكلمات تغطي كلُّ مجموعة مجالًا محدّدًا من المفاهيم وتتواجد الكلمات داخل كلِّ حقل على مجموعة محدّدة من العناصر أو المفاهيم الأساسيّة التي تشترك فيها وحدات تجعل منها مجالًا تصوريًّا مخصوصًا.[٢١]

ويذهب أولمان إلى أنَّ الحقل الدلالي هو«قطاع متكامل من المادة اللغوية يُعَبّر عن مجالٍ معيَّن من الخبرة»[٢٢]

ومن العلاقات الدلاليّة التي ألفيناها في مؤلف الكفعمي علاقة الترادف والتي أفضت إلى اتساع دلالة الكلمة القرآنية:

١ _ الاتساع بالترادف:

شغلت قضيّةُ الترادف اللغويين وأثارت جدلًا واسعًا بينهم، وتُعَدُّ من أكثر العلاقات الدلالية وقوعًا بين ألفاظ المجال الدلالي، ويرى علماءُ الدلالة أن حَدَّ الترادف هو أن يكون لوحدتين معجميتين المعنى نفسه، أما المعجميون فيذهبون إلى أنَّ الكلمةَ تكون مترادفة إذا استُعمِلت بدلًا من الكلمة الأولى[٢٣].

ونبصرُ اتساع الدلالة للكلمة القرآنية عند الحديث على كلمة(النار) والتي وردت في دعاء السمات في قوله: «وخمدت لها النيرانُ في أوطانها»[٢٤].

إذ تتعدّد مرادفات النار، فمنها: الصلاءُ والصلا سُمّيت بذلك للاصطلاء بها، وتُسمّى سكنًا؛ لأنَّ نفسَ المقرون تسكن بها، وسُمّيت ضرمة؛ لاضطرامها واشتعالها، وتُسمّى حَدَمَة؛ للونها، ويُقال: احتدَمَ الدمُ اشتدّت حمرتُه، أو لسرعة التهابها، والعربُ تقول: قِدرٌ حُدَمَةٌ سريعة الغلي، وتُسمّى خَمدَة؛ لسكون لهيبُها، إذا لم تَشّع والشياعُ ما دَقَّ من الحَطَبِ، وتُسمّى سَعيرًا؛ لإحراقِها، وتُسمّى وَحَى؛ لأنَّ الوَحَى المَلِك سُمّيَت به لأنها تَضُرُّ وتنفعُ كما أنَّ المَلِكَ يَضرُّ وينفَعُ[٢٥].

ويمكن التمثيل لاتّساع الكلمة القرآنية عند الكفعمي بالخطاطة الآتية:

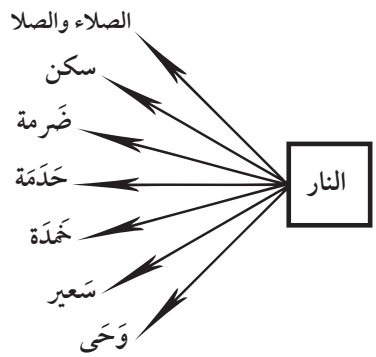

ويتجلى تكوثر الكلمة القرآنيّة عند الحديث على كلمة(قمر)، إذ يذكر الكفعمي سبب التسمية فقد سُمِّي بالقمر؛ لأنّه مأخوذٌ من القمرة وهو البياض إلّا أنَّه يكون له لمعًا، ويقال لحمار الوحش: أقمر وللأنثى قمراء لما في لونها من لمع البياض، وليلةٌ قمراء أي مُضيئة، وفرسٌ أقمر شديد البياض، ثمَّ يسعى إلى الكشف عن الزمن الذي يُسمّى فيه القمر قمرًا وهو بعد ثلاث إلى آخر الشهر؛ لأنّه يُسمَّى في الثلاث الأول هـلالًا، ثمَّ يذكر مرادفَه وهو الزِّبرِقان، ولا يقف عند هذا الحدِّ وإنَّما يكشفُ عن دلالات كلِّ ما يحيط بهذه الكلمة، فاسم دائرته الهالة، واسم ضوئه الفَختُ، واسم ظلّه السَّمَر، ومنه قيل للمتحدثين ليلًا سُمّارٌ.(٢٦)

ونبصرُ استعمال الكفعمي لأسلوب الفنقلة وهو مصطلحٌ منحوتٌ من التركيب(فإن قلتَ قلتُ)، وهو أسلوبٌ انفرد به صاحبُ الكشاف حيث الاهتمام بدلالة الألفاظ والوقوف على حالة السياق، إذ يظهرُ جليًّا عند حديثه على كلمة(القمران).

قال: إن قلتَ وزن قَمَر على فَعَل، وشَمس على فَعل، وساكن العين أخفُّ من متحركها فَلِمَ غُلِّبَ الثقيلُ على الخفيفِ ؟

قلتُ: إنَّ القَمَرَ مذكّر والشمس مؤنّثة وإذا اجتمعا غُلِّبَ المذكّرُ المؤنث؛ لأنَّ المذكّرَ هو الأصل، قال تعالى: «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ»(يوسف: ١٠٠)، ذَكَّرَ لأنّه أراد أباه وخالته.

فإن قلتَ: قد قال الشاعرُ: ياويح أميّه وويح خالته

وهنا غلَّبَ التأنيث، قلتُ: لا نُسَلِّم أنَّ الشاعرَ أرادَ بأميّه أباه وأمَّه، بل أرادَ أمَّه وجدَّتَه فسقط السؤالُ.(٢٧)

ويرى الدكتور أحمد ياسوف أنَّ ظاهرةَ الترادف في اللغة العربيّة لا تدلُّ على نقيصَةٍ، بل تدلُّ على سعة الفكر العربي وابتكاره، وتمثّلُ طبيعة الظروف المعيشة، حيثُ استقلال القبائل وتلاقيها، ومن أسباب الترادف أخذُ الرواة للكلمات من قبائل مختلفة وهذا أدّى إلى تعدّد الكلمات الدالة على مدلول واحد.(٢٨)

ويطالعنا تكوثر الكلمة القرآنية في حديث الكفعمي على الليل، فإذا أظلم يقال: عشا الليل وغَسَق وجَنَح ودَجى وأدجى وغَطَشَ وأغطَشَ وغَبَشَ وأغبَشَ وغَسَّ وأغسّ، والغَبَش ثمَّ الغَلَس ثمَّ العَسعَس كلُّها في آخر الليل، ولا يكتفي بذكر هذه المرادفات وإنَّما ينقل قولَ ابن ماسويه(ت٢٤٣هـ)، فالطرماء والطلماء بالراء واللام ظلمة الليل، والطرق الليل نفسه، والسَّمَر الظلمة، ثمَّ ينقلُ قولَ الثعالبي(ت٨٧٥هـ)، عن ساعات الليل، فهي الشَّفَق ثمَّ الغَسَق ثمَّ العَتَمَة ثمَّ السُّدفَة ثمَّ البُهرَة ثمَّ السَّحَر ثمَّ الفجر ثمَّ الصبح ثمَّ الصباح.(٢٩)

إنَّ المفردةَ العربيّة مَرِنَةٌ في المعنى طَيِّعَةٌ في شكلها وصيغتها فهي تنسجمُ مع الغرض الذي يرومه المتكلّم، وهي في القرآن الكريم تحملُ دلالاتٍ متعدِّدة تتباين بناءً على موقعِها في نظم الكلام فهي ذات ثراء دلاليّ أراد الكفعميُّ أن يكشفَ عنه في ثنايا مؤلَّفِه.

٢_ الأوزان الصرفيّة الاشتقاقيّة للكلمة الواحدة:

إنَّ الأوزانَ الصرفيّة للكلمة الواحدة يمكن أن تدخلَ في الحقول الدلاليّة وذلك نحو: (عَلِمَ، يعلم، عالم، علّام، عليم، يعلم، علماء)، وذلك عندما يتغيّر المعنى الأصلي للجذر، ويضرب الدكتور أحمد عارف حجازي مثالًا لذلك: (فَرَّقَ، فارق) حيث تدلُّ الكلمةُ الأولى على التبديد والقطع والقسمة، على حين تدلُّ الكلمةُ الثانية على الابتعاد والرحيل والفراق.(٣٠)

السنة السابعة/المجلد السابع/العدد الثالث والرابع(٢٥-٢٦)
شهر ربيع الآخر ١٤٤٢هـ/كانون الأول ٢٠٢٠م

لم يتوقف الكفعمي عند مرادفات الكلمة القرآنية، بل يقلِّبها بتنوِّع أوزانها الصرفيّة ويذكرُ دلالتها، فعند حديثه على لفظة(حكمة) يسعى إلى تكشيف الجذر(ح. ك. م) وتبيان دلالاته المتعددة، فيذكر أنَّ الحكيمَ مَن تكون أفعاله محكمة، والإحكامُ كون الفعل مطابقًا للنفع المطلوب منه فإنَّ إحكامَ القرطاس هو بحيث يصحُّ عليه الكتابة؛ لأنّه النفعُ المطلوب منه، والحكيمُ العالم، والحكمةُ العلم، والحَكَمُ بفتح الحاء والكاف الحاكمُ، وبه سُمِّي الحكم واهنًا، والمحاكمة المخاصمة إلى الحاكم، والمُحَكَّمَةُ من الخوارج لإنكارهم أمرَ الحكمين وقولهم: لا حكمَ إلَا لله، والمحكِّم الشيخُ المجرِّب المنسوب إلى الحكمة[٣١]، ويمكننا أن نوضِّحَ تكوثر الكلمة القرآنية بالاعتماد على الأوزان الصرفيّة الاشتقاقيّة بالرسمة الآتية:

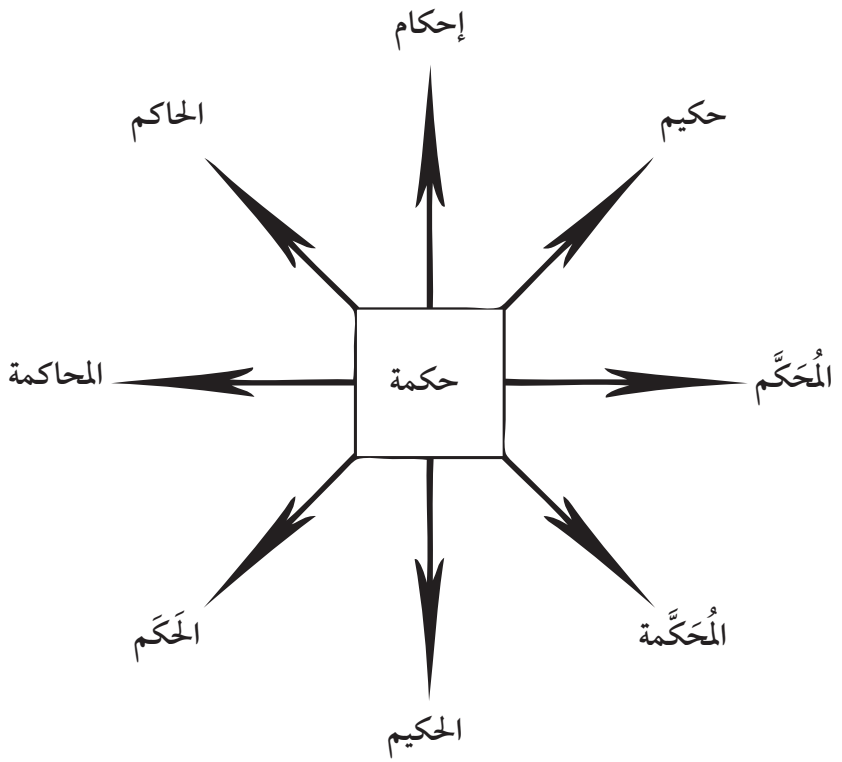

ولا يكتفي بذكر هذه الاشتقاقات ودلالة كلِّ واحدةٍ منها، بل يعزِّزُ هذه الدلالات بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والشعر أحيانًا، فهو يسبرُ أغوار الكلمة القرآنيّة وينقِّب عن أدقِّ التفاصيل، ويسعى إلى تفتيق دلالاتها باحثًا عنها في الموروث العربي من النثر والشعر.

٣_ الاتساع بالتضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج:

هو أشدُّ أنواع التضاد ومثَّلوا له ب(حي، ميت) فهما كلمتان متقابلتان في الدلالة، ونفي أحد الطرفين يعني الاعتراف بالآخر ولا يوجد خيارٌ ثالث، ويُسَمّيه الدكتور أحمد مختار عمر التضاد الاتجاهي ومثاله العلاقة بين كلمات مثل: أعلى، أسفل، ويأتي، يذهب[٣٢]، ويمثِّل الدكتور محمد علي الخولي لهذا النوع من التضاد ب(باع، اشترى) و(بارد، ساخن) و(شمال، جنوب)، ويرى أننا إذا دقّقنا في هذه الثنائيات نجد أنَّ كلًّا منها تستثني الأخرى، فَمَن باع لا يكون هو قد اشترى عندما باع، وما كان باردًا لا يكون ساخنًا، وهذه الثنائيات ليست في حالة تشابه في المعنى ولا ترادف، أو انضواء، بل هي في حالة تضاد.[٣٣]

وتبدّى لنا أنَّ الكفعميَّ يذهبُ إلى أنَّ النقيضَ يستدعي النقيض في عمليات التفكير والمنطق، وعندما يُطلِقُ حكمًا ما، نتأكّدُ من صحته وتماسك بنيته بالعودةِ إلى حكمٍ يعاكسه، وهذا ما ألفيناه في حديثه على كلمة(خمد)، فهو يكشف عنها بعد أن يذكر مرادفاتها وهي: خَمَدَت وباخَت وطُفِئت وخَبَت وهَمَدَت وذلك بذكر ضدّها، قال: «اشتعلت النارُ واتَّقَدَت واضطرمت واستعرت والتهبت واحتدمت».[٣٤] ومن هنا تنشأ فكرةُ الحقول المتناقضة، فاللون الأسود يستدعي اللونَ الأبيض، والطويل يستدعي القصيرَ وهكذا.

ونبصرُ الاتساعَ بذكر الكلمة وضدِّها عند الكفعمي فهو يدرك أنَّ اللغة

نظام وقيمة كلِّ عنصر من عناصرها لا تتعلّق به بسبب طبيعته أو شكله الخاص، بل يتحدّد ذلك بمكانه وعلاقته داخل المجموع، ويتجلّى التضاد في حديثه على كلمة(المسيح)، وبعد أن يذكرَ دلالةَ الكلمة ويعلّل سبب هذه التسمية يذكرُ أنَّ المسيخَ ضدّ المسيح، يقال: مَسَحَه اللهُ، أي: خلقه اللهُ خلقًا حسنًا، ومَسَخَه، أي: خَلَقَه خَلقًا قبيحًا.[٣٥]

لا جَرَمَ أنَّ كلَّ نظامٍ لغويّ يحتوي أبنيةً خاصة، وحقولًا دلاليّةً تساعدُ على تناول المعنى، وتُسَهِّل فيه مهمّةَ الاتصال اللغويّ، ونشأة الحقول الدلاليّة تقومُ على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلفُ بين مفردات لغةٍ ما بشكلٍ منتظم يساير المعرفةَ والخبرة البشرية المحدّدة للصلةِ الدلالية، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغةٍ معيّنة[٣٦]، فضلًا عن أنَّ الكلمةَ المفردة لا تشكّل وحدةً مستقلّةً، وقد أنكرَ بعضُ اللغويين أن يكون اكتساب اللغة في شكل كلمات مفردة، وأن يكون المتكلّمُ واعيًا بالكلمات المنعزلة أثناء عملية الكلام[٣٧]، ومّما يؤكد الترابط التام بين مفرداتها وقوة علاقتها بجارتها داخل الحقل الواحد، أو مختلف الحقول بحيث لو أقحمتَ كلمةً في حقلٍ متناسق، أو أُبعِدَت عنه، أو غُيِّر موضعها لأدّى ذلك إلى اضطراب يؤثرُ في مجموع مفردات الحقل.[٣٨]

المبحث الثاني: آليات التكوثر الدلالي للكلمة القرآنية:

١ـ الشاهد القرآني:

نرصدُ عنايةَ الكفعمي بهذا الأسلوب فقد أكثرَ من الاستشهاد بالنصوص القرآنية

التي فاقت الشواهدَ الأخرى، فهو لا يكادُ يمرُّ بكلمةٍ قرآنية إلّا وحَشَّدَ لها من الآيات الكريمة ما يناسبها، ولا يكتفي بذكرِ شاهدٍ واحد، بل تتعدّد الشواهد وتتنوع آخذًا بنظر الاعتبار السياق القرآني، فهو يُعنى به عنايةً فائقة إذ يذكر المفردة حيث وردت ويبيّنُ دلالتَها في السياق الذي وردت فيه، فالسياق يُسهِمُ في تكشيف المعنى وتبيينه، لأنَّ«اللغة ظاهرة اجتماعيّة، فيكون الفهم متوقفًا على النظر إلى الكلام في ضوء السياق سواءٌ أكان هذا السياق كلاميًّا أم غير كلاميّ».[٣٩]

ويتجلّى تكوثر الكلمة القرآنيّة عند الكفعميّ في شرحه لكلمة(الكريم)، فقد جاء في دعاء السمات: «وبجلال وجهك الكريم أكرم الوجوه وأعزّ الوجوه».[٤٠]

يرى الكفعميُّ أنَّ كلمة الكريم تأتي بدلالات متعدّدة، فتأتي بمعنى العزيز، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(الواقعة: ٧٧)، وهو برأيه هذا يتابعُ الواحدي(ت ٤٦٨هـ)[٤١]، والبغوي(ت٥١٠هـ)[٤٢]، ويأتي بمعنى الإعراض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(الفرقان: ٧٢)، أي: معرضين، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾(يس: ١١) فيعني: الجنة، ولا يقفُ عند هذه الدلالات وإنّما يعدد دلالة الكلمة القرآنية عندما يحتملُ سياقُ الآية الكريمة أكثر من معنى، ونبصرُ تعدّد دلالة كلمة(كريم) في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ

كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾(النمل: ٢٩)، فمن معانيها: مختوم، وقيل: حسن المضمون، وقيل لابتدائه بالبسملة، وتأتي بمعنى التفضيل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾(الإسراء: ٧٠)، أي: فضَّلناهم بالنطق والتمييز.(٤٣)

وتتعدّد دلالة الكلمة القرآنيّة عند الحديث على لفظة(الكلمة) فقد جاء في الدعاء: «وبكلمتك التي خلقتَ بها السماواتِ والأرضَ»(٤٤)، فالكلمةُ في الدعاء بمعنى المشيئة والأمر، وتأتي بمعنى الحجّة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(الأنعام: ١١٥)، وقيل: الكلمةُ هنا بمعنى القرآن، وجاءت الكلمةُ بمعنى الشرك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾(التوبة: ٤٠)، وقال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾(إبراهيم: ٢٦)، وتأتي بمعنى الوعد من نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾(يونس: ١٩)، وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾(الشورى: ٢١)، وتأتي بمعنى العلم والحكمة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾(الكهف: ١٠٩)، وتأتي بمعنى القدرة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾(لقمان: ٢٧)، أي: مقدوراته ومعلوماته؛ لأنّها إذا كانت لا تتناهى فالكلمات التي تقع عبارة عنها أيضًا لا تتناهى، ووردت بمعنى التحميد والتقديس والتمجيد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(فاطر: ١٠)، وجاءت بمعنى التوحيد، قال تعالى: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾(إبراهيم: ٢٤)، وقيل: هي كلُّ كلمةٍ حسنة كالتسبيحةِ والتحميدةِ والاستغفار والتوبة.(٤٥)

إنَّ هذا التحشيد للشواهد القرآنية للاستدلال على دلالة المفردة القرآنية بكافة السياقات التي وردت فيها أفضى إلى تكوثر الكلمة القرآنيّة، ويهدف

الكفعمي من وراء ذلك إلى تكشيف دلالة المفردة وتبيان معانيها أين ما وردت.

٢_ الدلالة الاحتمالية:

إنَّ الدلالة الاحتمالية ضربٌ من ضروب الاتساع، وهي دليلٌ على الطاقة الاستيعابية التي تمتلكها اللغة للإفصاح عن أغراضها وتنويع دلالات الكلام لدى مستعمليها، فتخرج من المستوى التخاطبي التحادثي إلى المستوى الإنشائي الجمالي، إذ يتأتى للمتكلم استبدال ما يرتضيه من الألفاظ تعبيرًا عن تلك المعاني الكامنة الممكنة والمحتملة، والدلالة الاحتمالية تصورُ دلاليّ من تصورات كثيرة للفظ المستعمل، وهي تدخلُ في باب استعمال اللفظ في أكثر من معنى، وهو بابٌ وسيعٌ ينبغي انطباقه على أبوابِ اللغةِ كافة من دون اختصاصه بالمستوى الدلاليّ فحسب، فقاعدة استعمال اللفظ في أكثر من معنى منفتحةٌ على أفقٍ وسيعٍ جدًا وحاضنة لدرجات وتفرّعات غير قابلة للحصر.(٤٦)

وقد فَطَنَ الشاطبيُّ(ت٧٩٠ هـ) إلى انفتاح الدلالات على الألفاظ القرآنية فتكثر الاحتمالات الدلالية المفضية إلى قوة الخطاب القرآني وكونه منفتحًا للمفهوم الذي تتلقاه بالقراءة والتدبر، قال: «أن يقع تفسير الآية أو الحديث من المفسّر الواحد على أوجهٍ من الاحتمالات ويبني على كلِّ احتمال ما يليقُ به من غير أن يذكرَ خلافًا في الترجيح، بل على توسيع المعاني الخاصة، فهذا ليس بمستقر خلافًا إذ الخلاف مبني على التزام كلِّ قائل احتمالًا يعضده بدليلٍ يرجّحه على غيره من الاحتمالات حتى يبني عليه».(٤٧)

وتظهرُ عنايةُ الكفعميّ بالدلالة الاحتمالية في حديثه على كلمة(الميثاق) التي وردت في دعاء السمات، قال: «وأوفَيتَ لإبراهيمَ عليه السلام بميثاقك ولإسحاق عليه السلام بحلفك وليعقوب عليه السلام بشهادتك وللمؤمنين بوعدك وللداعين بأسمائك

فأجبت».[٤٨]، فكلمة(الميثاق) وردت في آيات متعدّدة وتباينت دلالتُها بحسب سياق الآية، ويذكرُ الكفعميُّ احتمالًا تحتمله الكلمة القرآنية، وهو أنّه أراد بالميثاق الإمامة، ثمَّ ذكر دلالات المفردة في النظم القرآني وعزَّزها بالشواهد القرآنية.

نلحظُ أنَّ الكفعميَّ اعتمد على معرفته وثقافته الواسعة واطّلاعه على دلالة الألفاظ ومعرفته المعجمية التي تنمُّ عن قدرةٍ فائقةٍ فضلًا عن أنّه يستضيء بآراء العلماء من القدماء والمعاصرين له، ونجده يقلّب الكلمةَ ويسعى إلى تكشيف معناها عندما ترد في سياقات متعدّدة، ولا يقفُ عند هذا الحد، وإنّما يرصدُ ما تحتمله الكلمة من معانٍ، فهو يرشّحُ ممكناتٍ تحتملها الكلمة وهي تنسجمُ مع السياق العام، ولا يتوقّف عند ذكر الدلالات التي اتّفق عليها العلماءُ، بل يلتمسُ ما تحتمله الكلمة من دلالة وهو ضربٌ من الاتساع.

ويذكر الكفعميُّ احتمالًا لدلالة كلمة(الوعد) بعد أن بيّن دلالة الكلمة ومنها التخويف، والتي وردت في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾(البقرة: ٢٦٨)، فالمعنى في الآية المباركة: يخوّفكم فيحملكم على منع الزكاة، وتحتملُ دلالةً أخرى، وهي أنَّ المرادَ بالوعد هنا العهد، وهذا الاحتمال قائمٌ على الشاهد ويعضده الدليل، فالوعد يأتي بمعنى العهد، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾(طه: ٨٧)، يعني: عهدك، ومثله قوله تعالى: ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾(طه: ٨٦)، يعني: عهدي.[٤٩]

ولا يقفُ الكفعميُّ عند حَشدِ الشواهد القرآنية وإنّما يتوسع في دلالة الكلمة القرآنية واستنباش دلالتها في ظلِّ القراءة القرآنية، وهذا ما ألفيناه في حديثه على كلمة(عجب) في قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾(الصافات:

١٢)، أي: عجبتَ من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث، أو عجبتَ من تكذيبهم إيّاك وهم يسخرون من تعجّبِك، ويضفي على الكلمة القرآنية دلالةً أخرى بالاستعانة بالقراءة التي قرأ بها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام وابنُ عباس رضي الله عنه، وهي: (بل عجبتُ)، والمعنى: بلغَ من كثرةِ آياتي وعظم مخلوقاتي أن عجبتُ من إنكارِهم البعث ممّن هذا أفعاله، وهم يسخرون ممّن يصفُني بالقدرة على البعث.(٥٠)

٣_ الفروق اللغوية:

تتنوّع مصادرُ تكوثر الكلمة القرآنية عند الكفعميّ، وهو يرصدُ دلالةَ المفردة في سياقاتها المتعدّدة، ولم يقف عند هذا الحدّ وإنّما راح يبحثُ في الفروق اللغوية ليُبَصّر المتلقي بدلالة الكلمة وما يميّزها عن سواها«وقد فَطَنَ دارسُ العربية إلى أنَّ هذا التغيير يحدثه أهلُ اللغةِ بغية التعيين والتفريق ودَفع التداخل، وأرى فيه دليلًا على الحكمةِ والذوق والمنطق الحسن، وحسن التصرف بما يُغني الكلام ويزيد طاقات جديدة تجعل المفردات دالّة ومعبّرة».(٥١)

ويذهبُ بعضُ علماء العربية إلى أنَّ الهدفَ من ذكر الفروق اللغوية هو الموازنة بين الدلالات والألفاظ، إذ يَتمُّ التفريقُ بتعدّد الوضع، أو بالاشتقاق، أو بتغيير الحركة أو الحرف أو البناء، أو غير ذلك، ونتج عن اختلاف الوضع سلسلة من المفردات تجتمعُ دلالاتُها في مجالٍ واحدٍ يعبِّرُ كلٌّ منها عن مغزى مخصوص، إذ تتكون الدلالات وتتنوع للتفرقة بين الأشياء والظواهر، ويرد كثير من المفردات في مجموعات ترتبط بعلاقات أساسية ثمَّ تفترق في ظلال وألوان ولمحات معنويّة يختصُّ بها كلُّ لفظ.(٥٢)

ويتجلّى اهتمام الكفعميّ بالفروق اللغوية عند الحديث على كلمة(جعل)،

فقد تأتي بمعنى الحكم والاعتقاد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(الإسراء: ٣٩)، أي: لا تعتقد مع الله إلهًا آخر وتحكم به، وتأتي بمعنى الإنشاء والحدوث كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾(الأنعام: ١)، ثمَّ بيَّنَ الفروقَ اللغويّة بين الخلق والجعل، فالخلقُ فيه معنى التقدير، والجعلُ فيه معنى التصيير كإنشاء شيءٍ من شيء، أو تصيير شيءٍ شيئًا، أو نقله من مكانٍ إلى مكان[٥٣]، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾(الأعراف: ١٨٩)، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾(فاطر: ١١)

إنَّ تبيينَ المعاني يَتمُّ بتفريقها وتمييزها بعضها من بعض، قال الرمانيُّ(ت ٣٨٤ هـ): «إنَّ البيانَ هو الاحضارُ لما يظهر به تمييز الشيء من غيره في الإدراك»[٥٤]

ونبصرُ الاستثمارَ المُعجِب لمفهوم التغاير من قبل الكفعمي الذي سعى إلى تعيين الأشياء تعيينًا حقيقيًّا فأدرك الفروقَ اللغوية بين المفردات المتشابهة، وفَرزِ النظير عن نظيره؛ ليُشيرَ إلى ما يُفرِّق بينهما من دلالة لإيرادِ إهمالها، وقابلَ الكلمةَ بالكلمات التي تقرب منها في مجالِ مفهومها لإظهار حقيقة قيمتها في اللغة من حيث أنّها رمزٌ لمدلول مستقل.

وتتبدّى لنا عنايةُ الكفعمي بهذه الفروق الدقيقة عند حديثه على كلمة(الشهيد) التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ﴾(البقرة: ٢٨٢)، فيذكر لنا الفرقَ بين الشاهد والشهيد، قال: «والفرق بين الشاهد والشهيد أنَّ الأوّلَ بمعنى الحدوث، والثاني بمعنى الثبوت فإنّه إذا تحمَّلَ الشهادةَ فهو شاهد باعتبار حدوث تحمّله، وإذا ثبت تحمّله لها زمانين أو أكثر فهو شهيد ثمَّ يُطلق الشاهد بعد تحمّله مجازًا تسمية الشيء بما كان عليه كما يطلق الشهيد قبل تحمّله لها مجازًا».[٥٥]

٤_ آراء العلماء:

أفادَ الكفعميُّ من آراءِ العلماء، ويبدو أنّهُ كان واسع الاطّلاعِ فلا تكاد تخلو صحيفةٌ من صحف مؤلَّفهِ من توثيقٍ لآراء العلماء والتي استعان بها لتكشيفِ دلالةٍ أو تبيين معنى، وكثيرًا ما نلحظُ عنايتَه بالدلالة المعجميّة، فهو يعزِّزها بهذه الآراء، ويكثرُ من الاستدلال بها وإيراد الأدلة ومناقشتها، ويظهرُ هذا بوضوحٍ في شرحه وتفسيره لما ورد في الدعاء وهو قوله: «وبرحمتك التي مننتَ بها على جميع خلقك».[٥٦]

ينقل الكفعميُّ رأي الشهيد الأول(ت٧٨٦هـ) في القواعد والفوائد، قال: «هي لغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضّلَ والإحسان ومنه الرَّحم لانعطافها على ما فيها»[٥٧]، ثمَّ يذكر رأي السيد المرتضى(ت٤٣٦هـ) ليوازن بين الرأيين فهو يرى أنَّ الرحمةَ ليست رقة القلب والشفقة وإنَّما هي عبارة عن الفضل والإنعام وضروب الإحسان[٥٨]، ثمَّ ينقل قول صاحب عدة الداعي الذي يرى أنَّ الرحمةَ هي النعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء: ١٠٧)، أي: نعمة، ويقال للقرآن: رحمة، وللغيث رحمة أي: نعمة، ويقال لرقيق القلب من الخلق: رحيم؛ لكثرة وجود الرحمة منه لسبب الرقّة، وأقلّها الدعاء للمرحوم والتوجع له، وليست في حقّه تعالى كذلك، بل معناها إيجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه، فالحدّ الشامل أن يقول: هي التخليص من أقسام الآفات وإيصال الخيرات إلى أرباب الحاجات.[٥٩]

ويعزّز دلالة الكلمة برأي للطبرسي(ت٥٤٨هـ) نقله عن الحسن وقتادة وهو أنَّ الرحمة وسعت البرَّ والفاجر في الدنيا وفي القيامة للمتّقين خاصة[٦٠].

وتتعدد دلالة الرحمة عند الهروي(ت٤٠١هـ) في الغريبين الذي يرى أنَّ الرحمةّ متعددة الدلالات، فتأتي بمعنى العطف والصنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾، وتأتي بمعنى الرزق في قوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾(الإسراء: ٢٨)، وهي بمعنى المطر[٦١] في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾(يونس: ٢١)

ولا يقفُ عند هذه الدلالات، بل راح يقلِّب جذر الكلمة(رحم) مستعينًا بآراء العلماء، إذ ينقل رأي المُطرّزي(ت٦١٠هـ) في مغربه، قال: «والرحمُ في الأصلِ منبتُ الولد ووعاؤه في البطن، ثمَّ سُمِّيت القرابة والوُصلة من جهة الولادة رَحمًا، وذو الرَّحم خلاف الأجنبي».[٦٢] ثمَّ يوازن بين الكلمتين الرهبة والرحمة ويكشف عن دلالتها مستعينًا برأي الجوهري(ت٣٩٣هـ)، قال: «قولهم رَهَبُوت خيرٌ من رَحَمُوت أي لأن تُرهَب خيرٌ من أن تُرحَم، ورجلٌ مرحوم ومُرَحَّم شُدِّد للمبالغة، والرحيم قد يكون بمعنى المرحوم كما يكون بمعنى الراحم والرُّحم: الرحمة، وأمّ الرُّحم مكة، والرحمن والرحيم مشتقان من الرحمة».[٦٣]

ثمَّ يبيِّن الكفعميُّ الفرق بين الرحمن والرحيم من خلال طرح آراء العلماء ومناقشتها، فينقل رأي الشريف المرتضى الذي يذهب إلى أنَّ الرحيمَ تشترك فيه العربية والعبرانية والسريانية، والرحمن مختصٌ بالعربية، أمّا الطبرسي فيرى أنَّ الرحمنَ يُقدَّم على الرحيم في البسملة والفاتحة؛ لأنَّ الرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث إنَّه لا يوصف به إلّا الله ولهذا جمع سبحانه وتعالى بينهما في قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾(الإسراء: ١١٠)، فوجب لذلك تقديمه على الرحيم؛ لأنه يُطلق عليه وعلى غيره.[٦٤]

إنَّ تحشيد الكفعميّ لآراء العلماء ينمُّ عن اطّلاعه الواسع فهو يطرح الآراء

ويناقشها من أجل تكشيف دلالة الكلمة القرآنية وتبيين كلّ ما يحيط بها وهذا الأمر أفضى إلى تكوثر دلالتها، ويتبدّى لنا هذا التحشيد عند حديثه على كلمة(الناس)، فالجوهري يرى أنَّ الناس قد يكون من الإنس ومن الجن[٦٥].

ونقل عن صاحب الألفاظ الكتابية أنه يرى أنَّ جمع الناس هو أناسي[٦٦]، ويضعّفُ هذا الرأي ويردّ عليه بقول ابن خالويه(ت ٣٧٠هـ)، وهو أنَّ جمعَ الناس ليس أناسي؛ لأنَّ واحد الأناسي إنسي، ويردفُ هذه الآراء بقول الفرّاء: «وجائز أن يكون إنسانًا من جمعه أناسين ثمَّ نحذف النون وتُدغم بعد أن تُقلَب ياءً»[٦٧]، ثم ينقل رأي الطبرسي، قال: «الأناسي جمع إنسي أو إنسان كالظرابي في جمع ظربان على قلب النون من أناسين وظرابين ياءً»[٦٨]، وينقل عن ابن عباس أنّه قال: «إنّما سُمِّيَ آدم عليه السلام إنسانًا؛ لأنَّه عُهِدَ إليه فنسى»، ويردُّ الكفعمي على هذا بأنَّ في طبيعة الإنسان المؤانسة مع بني نوعه ولذلك سُمِّيَ إنسانًا، وَمَن قال سُمِّيَ الإنسانُ إنسانًا، لأنه نَسَى وظَنَّ أنّه مشتقٌ من النسيان فقد أخطأ.[٦٩]

ويناقش الكفعميُّ آراء العلماء فيضعّف بعضها ويقوي الآخر بالشاهد والدليل، وهذا التحشيد لآراء العلماء يكشف النقاب عن الكلمة من حيث دلالتها أو أصلها أو سبب تسميتها، ومفردها وجمعها وخلاف العلماء في ذلك.

الخاتمة:

آن الأوان أن نكشف عمّا توصلنا إليه من نتائج نحسبُ أنَّها جديرةٌ بالبوح والبيان:

١. سعى الكفعميُّ إلى تكشيف دلالة الكلمة القرآنية بذكر مرادفها فهو يسبرُ أغوار الدلالة وينقِّبُ عمّا يميزها عن قريناتها ليصل إلى كنهها وهذا بدوره أفضى إلى تكوثر الكلمة القرآنية دلاليًّا.

٢. تبدّى لنا أنَّ الكفعميَّ عَمَدَ إلى تقليب جذر الكلمة القرآنية بجميع اشتقاقاتها الصرفيّة مفصّلًا القول في دلالة كلِّ وزن كاشفًا النقاب عن الصلات بين هذه الأبنية وهو يروم تبصير المتلقي بكلِّ ما يحيط بالكلمة من معانٍ.

٣. حظي التضادُ الاتجاهي بعناية الكفعميِّ فالنقيض يستدعي النقيض فأراد بهذا الأسلوب أن يكشفَ عن دلالة الكلمة القرآنية في ظل نقيضها.

٤. أكثَرَ من الاستشهاد بالنصوص القرآنية التي فاقت الشواهد الأخرى، فلا يمرُّ بكلمةٍ قرآنية إلّا وحَشَّدَ لها من الشواهد القرآنية ما يناسبها كاشفًا عن دلالتها بحسب السياق الذي تَرِدُ فيه.

٥. من ضروب اتساع دلالة الكلمة القرآنية الدلالةُ الاحتمالية وهي دليلٌ على الطاقة الاستيعابية التي تملكها اللغة للإفصاح عن أغراضها وتنويع دلالات الكلام لدى مستعمليها ولها سُهمةٌ باصرة في اتساع الدلالة عند الكفعميّ.

٦. تمكّنَ من رصدِ الفروق اللغوية الدقيقة بين الكلمات فهو يوازن بين الألفاظ ساعيًا إلى الكشف عن دلالتها، فكلُّ كلمةٍ لها مغزًى معيّن ينماز عن سواه وهذا أفضى إلى التوسع في دلالة الكلمة القرآنية.

٧. أفاد من آراء العلماء القدماء والمعاصرين له، وهو واسع الاطّلاع يقلِّبُ الآراء وينتقي منها ما يراه مناسبًا ويَرِدُّ بعض الآراء وهو في هذا حاذقٌ بارع سبيله إلى هذا اعتماد الشاهد والدليل.

٨. اعتنى كثيرًا بالدلالة المعجمية معتمدًا آراء اللغويين وهو يجمع بين دلالة الكلمة في المعجم ودلالتها حين تأتي في نظم الكلام آخذًا بعين الاعتبار ما يطرأ على الكلمة من تغييرٍ دلالي بتعدد سياقاتها التي وردت فيها وهذه العناية أفضت إلى اتساع دلالة الكلمة القرآنية.

والحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

الهوامش

١. ينظر: المفردة القرآنية بين إبداع اللفظ وإبداع الدلالة: ٤٢٠ _٤٢٣.
٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/ ٨٠٣(كثر).
٣. ديوانه: ١٧٧.
٤. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦/ ٧٩٣(كثر).
٥. ينظر: لسان العرب: ٥/ ١٣١.
٦. معاني القرآن: ٣/ ٢٩٥.
٧. الكشاف: ٤/ ٨٠٦.
٨. تفسير البيضاوي: ٥/ ٣٤٢.
٩. العين: ٧/ ١٦٣(صفو).
١٠. ينظر: تهذيب اللغة: ١٢/ ١٤٧(صفو)، والصحاح: ٦/ ٢٤٠١(صفو).
١١. معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٩٢(صفو).
١٢. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤٠.
١٣. مختار الصحاح: ١٧٧(صفا).
١٤. ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٤٦٢(صفا).
١٥. ينظر: التعريفات: ١/ ١٣٤، والتوقيف على مهمات التعاريف: ١/ ٢١٧.
١٦. صفوة الصفات: ٧٨.
١٧. ينظر: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: ١٣.
١٨. ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧٩.
١٩. ينظر: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية: ١٢.
٢٠. ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: ١٦٤.
٢١. ينظر: الحقول الدلالية في القرآن الكريم: ١٣.

٢٢. ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٧٩.

٢٣. ينظر: الدلالة والنحو: ١٠١.

٢٤. صفوة الصفات في شرح دعاء السمات: ٣٠٢.

٢٥. ينظر: صفوة الصفات: ٣٠٣ _ ٣٠٤.

٢٦. ينظر: صفوة الصفات: ١٦٣ _ ١٦٥.

٢٧. ينظر: صفوة الصفات: ١٦٥، والبيت لم نهتد لقائله.

٢٨. ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٦٦.

٢٩. ينظر: صفوة الصفات: ١٨٢ _ ١٨٣.

٣٠. ينظر: الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة: ١٧.

٣١. ينظر: صفوة الصفات: ١٤٥_١٤٧.

٣٢. ينظر: علم الدلالة: ١٠٣ _ ١٠٤.

٣٣. ينظر: علم الدلالة(علم المعنى): ١١٦.

٣٤. صفوة الصفات: ٣٠٢.

٣٥. ينظر: صفوة الصفات: ٣٨١.

٣٦. ينظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ٩ _ ١٠.

٣٧. ينظر: أسس علم اللغة: ٥٥.

٣٨. ينظر: نظرية الحقول الدلالية: ٤٣.

٣٩. ينظر: تحليل الخطاب: ١٠٠.

٤٠. صفوة الصفات: ١١٦.

٤١. ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٠٦٣.

٤٢. ينظر: تفسير البغوي: ٥/ ١٩.

٤٣. ينظر: صفوة الصفات: ١١٦ _ ١١٨.

٤٤. ينظر: المصدر نفسه: ١٣٣.

٤٥. ينظر: صفوة الصفات: ١٣٣.

٤٦. ينظر: الدلالة القرآنية الاحتمالية في أمالي الشريف المرتضى: ١٦٧.

٤٧. الموافقات: ٤/ ٢٣٦ _ ٢٣٧.

٤٨. صفوة الصفات: ٢٣٥.

٤٩. ينظر: صفوة الصفات: ٢٣٩.

٥٠. ينظر: المصدر نفسه: ١٥٢.

٥١. الفروق اللغوية في العربية: ٢٥.

٥٢. ينظر: الفروق اللغوية: ١٣٣ _ ١٣٤.

٥٣. ينظر: صفوة الصفات: ٤٣٢.

٥٤. النكت في القرآن في ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز: ٩٨.

٥٥. صفوة الصفات: ٤٣٢.

٥٦. صفوة الصفات: ٢٥٧.

٥٧. القواعد والفوائد: ٢/ ١٦٧.

٥٨. ينظر: آمالي المرتضى: ١/ ٥٢.

٥٩. ينظر: عدّة الداعي ونجاح الساعي: ٣٠٣ _ ٣٠٤.

٦٠. ينظر: مجمع البيان: ٤/ ٣٧٠ _ ٣٧١.

٦١. ينظر: الغريبين في القرآن والحديث: ٧٢٨ _٧٢٩.

٦٢. المغرب في ترتيب المعرب: ١/ ٣٢٥(رحم).

٦٣. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١/ ١٤٠(رحم).

٦٤. ينظر: المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى: ٤٤ _ ٤٥.

٦٥. ينظر: الصحاح: ٣/ ٩٨٧(نوس).

٦٦. ينظر: الألفاظ الكتابية للهمذاني: ٢٧٥.

٦٧. لم أعثر على هذا الرأي في معاني القرآن.

٦٨. جوامع الجامع: ٢/ ٦٥٦.

٦٩. ينظر: صفوة الصفات: ١٩٥ _ ١٩٦.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

أولًا: الكتب

١. أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة وتعليق: الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٩٩٨ م.

٢. أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، الدكتور أحمد عزوز، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢ م.

٣. الألفاظ الكتابية، عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمذاني(ت٣٢٠هـ)، مكتبة المليجي، مصر، وطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٨٩٥ م.

٤. أمالي المرتضى غُـرَرُ الفوائد ودُرَرُ القلائد، علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٦٧ م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦. تحليل الخطاب، ج. ب. براون، ج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، د. منير التريكي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧ م.

٧. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني(ت٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م.

٨. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري(ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.

٩. التوقيف على مهمات التعريف، محمد بن تاج العارفين القاهري(ت ١٠٣١ هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٠ م.

١٠. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٣، مصر.

١١. جماليات المفردة القرآنية، الدكتور أحمد ياسوف، إشراف وتقديم: الدكتور نور الدين عتر، دار المكتبي، سورية، ط ٢، ١٩٩٩ م.

١٢. جوامع الجامع، الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط ١، قم المقدسة.

١٣. الحقول الدلالية في القراءات القرآنية الصحيحة، الدكتور أحمد عارف حجازي، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مكتبة الآداب، ط ١، ٢٠٠٧ م.

١٤. الحقول الدلالية في القرآن الكريم سورة يس أنموذجًا، رحمون سماح، أولمي شهرزاد، رسالة ماجستير، إشراف: أ. مهلول سميرة، جامعة بجاية، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٦ _٢٠١٧ م.

١٥. الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، مكتبة الآداب، ط ١.

١٦. ديوان الكُمَيت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠ م.

١٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م.

١٨. صفوة الصفات في شرح دعاء السمات، إبراهيم بن علي الكفعمي(ت٩٠٥هـ)، تحقيق: السيد حسين هادي الموسوي، ط١، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، كربلاء، ٢٠١٨ م.

١٩. عدَّة الداعي ونجاح الساعي، أحمد بن فهد الحلّي(ت٨٤١هـ)، صحّحه وعلّق عليه: أحمد المَوحِدِي القمّي، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧ م.

٢٠. علم الدلالة، د.أحمد مختار عمر، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عالم الكتب، ط٥، ١٩٩٨ م.

٢١. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تأريخية تأصيلية نقدية، د. فايز الداية، دار الفكر سورية، دار الفكر المعاصر بيروت، ط٢، ١٩٩٦ م.

٢٢. علم الدلالة علم المعنى، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠١ م.

٢٣. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٤. الغريبين في القرآن والحديث، أحمد بن محمد الهروي(ت٤٠١هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار البار، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٩ م.

٢٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(أحد أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٢٦. الفروق اللغوية في العربية، أ. د. علي كاظم المشري، كلية الآداب، جامعة القادسية، دار الصادق، دار صفا للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١١ م.

٢٧. الكشاف، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٢٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ)، دار العلوم، ط١، ٢٠٠٥ م.

٣٠. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده(ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.

٣١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي(ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩ م.

٣٢. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، د. محمد أحمد أبو الفرج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٦ م.

٣٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، الحسين بن مسعود البغوي(ت٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت.

٣٤. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، مصر.

٣٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩ م.

٣٦. المغرِب في ترتيب المعرِب، أبو الفتح ناصر الدين المطّرزي(ت٦١٠هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، سورية، ط١، ١٩٧٩ م.

٣٧. المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى، تقي الدين إبراهيم الكفعمي(ت٩٠٥هـ)، تحقيق: الشيخ فارس الحسون، دار الهادي، لبنان، ط١، ١٩٩٢ م.

٣٨. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي(ت٧٩٠هـ)، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٩٧٧.

٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن محمد(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م.

٤٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي(٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوت عدنان داوودي، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١، ١٩٩٥ م.

ثانيًا: المجلات

١. الدلالة القرآنية الاحتمالية في أمالي الشريف المرتضى(ت٤٣٦هـ)، الدكتور حسين علي هادي المُحَنّا(بحث) مجلة دواة، المجلد الثاني، العدد العاشر، ٢٠١٦ م.

٢. المفردة القرآنية بين إبداع اللفظ وإبداع الدلالة (دراسة في جمالية الكلمة في السياق القرآني)، د. ممدوح إبراهيم، (بحث)، المجلة العلمية، كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد الخامس والثلاثون، الجزء الأول، ٢٠١٦ م.

ثالثًا: الأطاريح

- نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية في المخصص لابن سيده، هيفاء عبد الحميد، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. د. مصطفى عبد الحفيظ، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١ م.